بروم داري

نشرة دورية سنوية. تصدرها جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سه بتواون

اليوم القرآني {الدورة السادسة}

تحت شعار:

«الشيخ محمد المنصور سي والمحافظة على تراث الحضرة المالكية»

من أساليب الشيخ محمّد المنصور سه التّربوية

ولا زالت «تواوون» تشتاق لمنصورها!

الشيخ محمد المنصور سي بين الأسطورة والحقيقة

اللّجنة العلميّة لليوميّة
2023 - 1444

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث هدى ورحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من أهم ما يعتني به الخلف لترسيخ جهود السلف الحفاظ على تراثهم، وتفعيله بشكل يتواشج مع الركب الحضاري، ليستمد منه الشباب قوة ينطلقون منها لبناء مستقبل بهي، وأفكارا سليمة تشحِّذ جهودهم وهممَهم نحو الإصلاح.

ومعلوم أن الشيخ الحاج مالك سي كانت حياته كلها تدور حول الإصلاح بشتى مجالاته، وكان يتحرى في تربيته منهجا ثلاثي الأبعاد، ويرمز بـ (جَ – جُ – بَ) أي «جَانْغَ» بمعنى: التعلم والتعليم، جُ «جُل» يقصد به العبادة، «بَيْ» يقصد به العمل.

فبهذه الثلاثية، نجح الشيخ الحاج مالك سي في خدمة الإسلام والإنسانية ونشر فكره الإصلاحي الناجح في مختلف بقاع غرب إفريقيا.

ثم خلف من بعده خلف أقاموا هذا النهج على سوقه القويمة، وحافظوا منواله، بل واصلوا طريق مربيهم ومعلمهم؛ الحاج مالك سي؛ في نسج علاقات طيبة بين العبد وربه وبينه وبين إخوته ومجتمعه، وبذلك أعادوا للإنسان إنسانيته، وللمسلم إسلامه.

ومن بينهم الشيخ السيد محمد المنصور سي «بروم داري»، ذلك العالم الذي كرّس حياته كلها في خدمة الإسلام، تعليما وتربية، وعرفه به القاصي والداني، بل اشتُقّت له فيه كنية جوهرية أبت أن تجد قرينة غير الشيخ محمد المنصور سي؛ فحين يذكر «بروم داري»، تنصرف العقول إلى هذا الحبر الفريد، وما أكسبه ذلك إلا جهوده العظيمة في الحفاظ على التراث الإسلامي الذي هو وراثة جده الشيخ الحاج مالك سي.

نعم، قد فهم الشيخ محمد المنصور سي «بروم داري» شرف هذه الوراثة، مبكرا، وفعالية هذه الثلاثية؛ لذلك احتزم، بأوتاد الهمة والعزيمة، لتجسيدها وتبنيها حرفيا؛ الأمر الذي جعله مضرب مثل في ترسيخ جهود جده الشيخ الحاج مالك سي، التي لها زنتها الثقيلة على ميزان الثقافة الإسلامية، لما فيها من تعاليم إسلامية وإنسانية سامية، لم تزل ولا تزال مخرجا من المشاكل المواجهة بين فينة وأخرى.

ولهذا جاء شعار العدد السادس من «مجلة بروم داري » تحت عنوان «الشيخ محمد المنصور سي والمحافظة على تراث الحضرة المالكية»؛ وذلك للإشادة بالجهود العظيمة التي قام بها من أجل الحفاظ على تراث جده، تعليما وتربية.

هذا، وتصدر جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي» بروم داري» هذا العدد آملة أن يستفيد منه القراء، سائلة مولانا العلي أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

الشيخ الحاج مود مالك صو
المشرف العام على كتّاب الشيخ محمد المنصور سي
تواوون

من أساليب الشيخ محمّد المنصور سه التّربوية

لقد كان سيّدنا محمّد ﷺ معلّما ومربيّا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. فلا يشك عاقل في أنه عليه الصّلاة والسّلام هو المعلّم الأوّل والمربي الأمثل. فالدارس لسنته الطاهرة يجد أنّ دروسه التي كان يلقيها حافلة بالمبادئ التربوية التعليمية العظيمة التي تتناول الجوانب التربوية التعليمية المختلفة بشكل يبعث على الإعجاب ويثير الدهشة، فكان ﷺ على هذا المنوال يلقي تلك الدروس القيمة ويبلغ رسالات ربّه بالحكمة وبأساليبه الجذابة حتى حقق نجاحا لا نظير له في تاريخ البشرية، ثم خلّف من بعده علماء على مرّ العصور يقتدون به في سبيل تعليم الناس وتربيتهم وتثقيفهم، ويستخدمون الأساليب التربوية التي كان يستخدمها معلّمهم الأول عليه أفضل الصّلاة والسّلام. ومن هؤلاء العلماء، ذلك العالم الرّبّاني الذي قضى حياته كلّه في التعليم والتربية، أعني به: الشيخ محمّد المنصور سه ـ رضي الله عنه ـ المكنى بـ (صاحب الكتاتيب).

كان الشيخ محمّد المنصور معلّما بكلّ معنى الكلمة، متفانيا في حب التعليم، وممّا يدل على ذلك أنه جلس لمدّة 35 عاما في كُتّاب أبيه يعلّم الطلاب العلم ويربّيهم. وقد شهد له ذلك أخوه الشيخ عبد العزيز سه الأمين ـ رضي الله عنه ـ في قوله: «كان الشيخ محمّد المنصور يبدأ التّدريس من الصباح إلى اللّيل، يجمع فطوره وغداءه وعشاءه في مجلسه دون أن يلتفت إلى آنية من تلك الأواني، وذلك لتركيزه على عمله الشريف»[1]. وقد شهد له ذلك أيضا كثيرٌ من تلاميذه. فقد صدق عمّه الشيخ الحاج عبد العزيز سه الدّباغ القائل في حقّه:

بِالْعلم والتّعليمِ فُقْتُمْ غيرَكُمْ

والبذل والإنفاق والإحسان[2]

وقد كان الشيخ محمد المنصور في مجالسه العلمية يدرّس جميع الفنون التي تشمل اللغة العربية والشريعة الإسلامية، من فقه، وتفسير، وحديث، وتصوف، وسيرة، وأدب، ونحو، وعروض، ومنطق، وبلاغة، وغيرها من المواد العلمية. وفي هذا الصدد يقول تلميذه الحاج مالك صو في مرثيته له:

مَنْ لي بشيخٍ في العروض ومنطق

حكم بيان سيرة وينير

من لي بشيخ في الأصول وفقهها

نحو نجوم كلّها موفور

---

١) انظر: *التصوف السّنّي هو المخرج من المشكلات المعاصرة*، من مجلات جمعية الشيخ محمّد المنصور سه/ إصدار ٢٠١٩م، ص ٤.

٢) قصيدة ألفها الخليفة الراحل الشيخ الحاج عبد العزيز سه الدّباغ رضي الله عنه في حقه ابنه الشيخ محمّد المنصور في شهر سبتمبر ١٩٩٧م، وذلك قبل وفاته بأسبوع.

وبعد هذه المدّة الطويلة التي قضاها صاحب الكتاتيب في سبيل التربية والتعليم، فإنّه لم يتقاعد، بل كان يواصل هذا العمل الشّريف في المحاضرات وفي ليالي المواليد والمناسبات وأمام الوفود والدوائر التي كانت تزوره. ولم يزل الشيخ على ذلك إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام 2012م.

فخلف لنا كثيرا من دروسه القيمة ومحاضراته المفيدة ينتفع منها الناس حتى الآن، وذلك عبر الإنترنت والتلفزيون والإذاعات...

وكل من تتبع دروس الشيخ منصور يجد أنها كانت تتميز بالبساطة والوضوح وتبسيط المعلومة لذهن المتلقي فيفهمها بكل سهولة، ذلك لأنه ـ رضي الله عنه ـ كان يستعين في إلقاء دروسه بوسائل فعّالة وبأساليب تربوية جذّابة ورثها عن المعلّم الأوّل سيدنا محمّد ﷺ، ومن تلك الأساليب التربوية:

١. بيداغوجيا التقويم التشخيصي:

وهي عمل إجرائي يستهل به المعلّم عملية التعلم مستندا على بيانات ومعلومات توضح له درجة تحكم المتمدرسين في المكتسبات القلبية: معارف، قدرات، مهارات... كفاءات تؤهلهم لتعلم لاحق[3].

٣) انظر: السرطاوي عبد العزيز مصطفى، *التقييم في التربية الخاصة*، ط ١، الإمارات العربية المتحدة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠١٣م، ص ٢٠.

هذا النوع من التقويم يحتلّ مكانة جوهرية في العملية التعليمية التعلّمية في عصرنا الرّاهن. وإذا رجعنا إلى سنّة النّبي ﷺ، فإنّنا سنجده قد استهلّ مجموعة من الأحاديث الشريفة بطرح أسئلة مختلفة على متعلّميه من الصّحابة. منها قوله للصحابة: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثمّ طرح في النّار»[4]. ومن تلك الأحاديث أيضا: قول النبي عليه الصّلاة والسّلام للصحابة: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرّات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: ذلك مثل الصّلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا»[5]. فالأحاديث من هذا الباب كثيرة جدا.

وكان الشّيخ محمّد المنصور سي يستخدم هذا الأسلوب التربوي في إلقاءه الدروس؛ كان يطرح أسئلة على المتعلّمين، ليثير انتباههم،

٤) صحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٥٨١.

٥) متفق عليه: صحيح البخاري، رقم الحديث: ٥٢٨، ومسلم: ٦٦٧.

ويحرك ذكاءهم ويقدح فطنتهم، ثمّ يسقيهم المواعظ المؤثرة والدروس القيمة في قالب الإقناع والمحاجات... والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: طرحه السؤال على المستمعين بمناسبة إحياء ليلة مولد بمدينة تِوَاوَنْ عن سبب طواف الكعبة من الجهة اليسرى مع أن الإسلام يأمر التيمن في جميع الأعمال الصالحة. ثمّ بعد ذلك جاء الشيخ بالجواب مع أدلة مقنعة.

ومنها أيضا: طرح أسئلة على تلاميذه عن أول حيوان بعثه الله، فأتى واحد منهم بالآية الكريمة: «فبعث الله غرابا يبحث في الأرض...[6]» ثمّ جعل الشيخ هذا الجواب نقطة الانطلاق لإلقاء درسه.

كان الشيخ حريصا على هذا الأسلوب الذي أصبح يعرف في ظل البيداغوجيات الحديثة بالتقويم التشخيصي، الذي يستحب للمدّرس أن يستهلّ به درسه؛ قصد جمع بيانات ومعلومات عن قدرات ومعارف متعلّميه ومواقفهم المسبقة، قبل أن يلقي بالمعارف الجديدة.

٢. بيداغوجيا المثال:

لا يخفى على أحد ما للمثال من أثر في توضيح المقال، وإخراج الألفاظ الخفيّة إلى الجلية، وتقريبها إلى الأذهان في صورة قريبة تزيد المعاني وضوحا ودقّة ورسوخا، وتزداد أهميّة هذا الأسلوب في مجال التربية والتعليم، وعلى هذا كان المعلم المثالي الرّسول ﷺ يستعين على توضيح مواعظه ودروسه بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ. ومن أمثاله المشهورة:

قوله صلى الله عليه وسلّم: «مثل الجليس الصّالح والسّوء كحامل المسك ونافخ الكير...»[7] وغيره من الأحاديث الشريفة.

وكان صاحب الكتاتيب ـ رضي الله عنه ـ يستخدم هذا الأسلوب التربوي في كثير من الأحيان؛ بغيةِ تقريب المراد، وإيصاله للذهن، ليُفهمَ ويُعقلَ، فكان يُمثّل البعيد بالقريب، والمجهول بالمعلوم، والمعنوي بالمحسوس. فقد دحض الشيخ محمد المنصور في إحدى محاضراته دعوى المتمشيخين الذين يضمنون دخول الجنة لأتباعهم الذين يُضيعون الصّلاة، فأتى بمثال يوضح فيه عجز هؤلاء الرجال المدعين عن ضمان الجنة لأصحابهم، وذلك في قوله: «لكلّ شيخ من هؤلاء الشيوخ حبيب أو تابع مسجون في السجن المسمى بـ 100 متر، ولا يستطيع أن يخرجه من ذلك

٦) سورة المائدة، الآية: ٣١.

٧) متفق عليه: *صحيح البخاري*، رقم الحديث: ٢١٠١، *ومسلم*: 2628.

السجن. فإذا كان الأمر كذلك فما بالهم يوم القيامة؟».

كان الشيخ منصور يُكثر من توظيف هذا الأسلوب التربوي بدقّة وعناية لدرجة تزيل اللبس عن الأذهان، وتطوّع النفوس لتقبل على الدرس دون ريب أو إبهام. «فبالمثال يتّضحُ المقال».

٣ . استخدام الوسائل التعليمية المحسوسة:

الوسيلة التعليمية هي كلّ وسيلة تساعد المعلّم على توصيل المادة العلمية للمتعلم، وتستخدم كجزء أساسي لتيسير إجراءات التدريس. ولهذه الوسائل أهمية كبيرة، إذ أنها تعمل على زيادة انتباه المتعلّمين حيث تثير الحواس، مما يدفعهم للتركيز والتدقيق في متابعة أحداث التعلم. وكان المعلّم الأول عليه الصّلاة والسّلام يستغل هذا الأسلوب حتى يتسهل للمتعلمين الفهم السريع، فكان يستخدم أحيانا الحصى، وتارة أخرى العصا أو غيرها. فقد روي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أخذ رسول الله ﷺ حريرا بشماله، وذهبا بيمينه، ثمّ رفع بهما يديه، فقال: «إنّ هذين حرام على ذكور أمتي، حلّ لإناثهم»[8].

كان معلّمنا الشيخ محمّد المنصور يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في استغلال هذا الأسلوب، قد رأيناه في ليلة مولد يفسر الآية «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزّجاجة...[9]» وكان الشيخ في ذلك الحين يستعين في الشرح والتفسير بالمصباح الذي يحمله ابنه الشيخ حبيب سه الذي كان ينير له، ويفسر الآية تفسيرا واضحا.

٤ . الأسلوب القصصي المزود بالعبرة والموعظة:

هو أسلوب له تأثيراته النفسية، وانطباعاته الذهنية... وقدا ستعمله القرآن الكريم في كثير من المواطن، لاسيما في أخبار الرّسل مع أقوامهم. والسنة النبوية أيضا مليئة بالقصص، وكل منها تكون مصحوبة بالدروس والعبر.

وكان السيد محمّد المنصور يحكي لمستمعيه قصصا كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية، منها: قصص الأنبياء والرّسل، وقصة أصحاب الكهف، وقصة إسماعيل عليه السلام مع زوجيه، وغيرها من القصص التي لها إيحاءاتها المؤثرة، وحساسياتها البالغة، واهتزازاتها الضاربة على أوتار القلوب، ثمّ يستخرج من القصة أهم مواطن العبرة والعظة ليكون التأثير أبلغ.

٨) *أبو داود*، رقم الحديث: ٤٠٥٧.

٩) سورة النور، الآية ٣٥.

٥ ـ دمج الدرس بالمزاح:

وذلك لتحريك الذهن، وتشويق النفس، وإذهاب الملل. وكان النبي ﷺ يمازح أصحابه وهذا من طيب أخلاقه وحسن معشره، لكنه ما كان يقول إلا حقا، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه:

إمّا عبيد وَصِبْيان يُسلِّمهمْ

مُمَازحُ غَيْرِ حقٍّ ما إليه نُمي[10]

وكان يستغل الممازحة في التعليم والتوجيه. من هذا: ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «إنّ رجلا جاء إلى الرّسول ﷺ يستعمله بعيرا من الصدقة ليحمل عليه متاع بيته، فقال رسول الله ﷺ: إني حاملك على ولد الناقة، فقال الرّجل: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله: وهل تلد الإبل إلا النوق؟»[11]. فأفهمه صلى الله عن طريق المزاح أن الجمل ولو كان كبيرًا يحمل الأثقال ما يزال ولد الناقة. وهذا كثير في مزاحه عليه السّلام.

وكلّ من تابع محاضرات السيد محمد المنصور ودروسه يجد أنه كان يستعمل أحيانا هذا الأسلوب التربوي في التعليم والإرشاد. وكان المتعلمون يشعرون بالنشاط والحيوية عند ما يتابعون دروسه، وذلك لاستخدامه أسلوب دمج الدرس بالمزاح إلى جانب إلمامه بالفنون التي كان يُدرّسها، فيكون ذلك وقاية للنفوس من الملل والسآمة، وحفزًا لها على النشاط في استقبال الدرس.

٦ ـ أسلوب التشجيع والتحفيز:

إن التشجيع يعتبر وقود الحياة، فهو يوّلد الرغبة والاستعداد للعمل، وله سحر عظيم في حفز الهمم وتحريك الطاقات، وعلى هذا اهتم المربون به غاية الاهتمام في العملية التعليمية التعلمية، وكان ذلك المربي الناجح صلى الله عليه وسلّم يستخدم هذا الأسلوب التّربوي، والأحاديث من هذا الباب كثيرة.

وصاحبنا الشيخ محمّد المنصور قد اقتفى بآثار حبيبه صلى الله عليه وسلّم في استعمال هذا الأسلوب التربوي، فكان يشجع تلاميذه أحيانا بالكلمة الطيبة حينا عند ما أصابوا، ويمنح الهدايا أحيانا أخرى... وقد رأيناه مرارا يعطي الهدايا لمن أجاب عن سؤاله أو للمنشدين الذين يأتون بأبيات قصيدة تناسب مضمون درسه.

تلكم بعض الأساليب التي كان يتبعها المعلّم والمربّي الشيخ محمّد المنصور سه في توجيه الكبار وتعليم الصّغار، وتثبيت الفضائل، وتقويم الاعوجاج... فهي ـ كما رأيتم ـ وسائل مختلفة، وطرائق متنوعة ورثها عن المعلّم الأول، ومنقذ البشرية سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم. جزى الله الشيخ محمّد المنصور سه عن الأمة الإسلامية خيرا.

بقلم محمّد المنصور سَيْ ابن الحاج عثمان سَي

مدينة فال ـ اتياس

10) باه، محمّد السعيد، *نيل الأرب من خلاص الذهب للشيخ الحاج مالك سي*، ط 3، مصر، مركز النجاسي العلمي، 2017م، ج 3، ص 271.2

11) أخرجه *أبو داود*، رقم الحديث: 4998، *والترمذي*: 1991...

ولا زالت «تواوون» تشتاق لمنصورها!

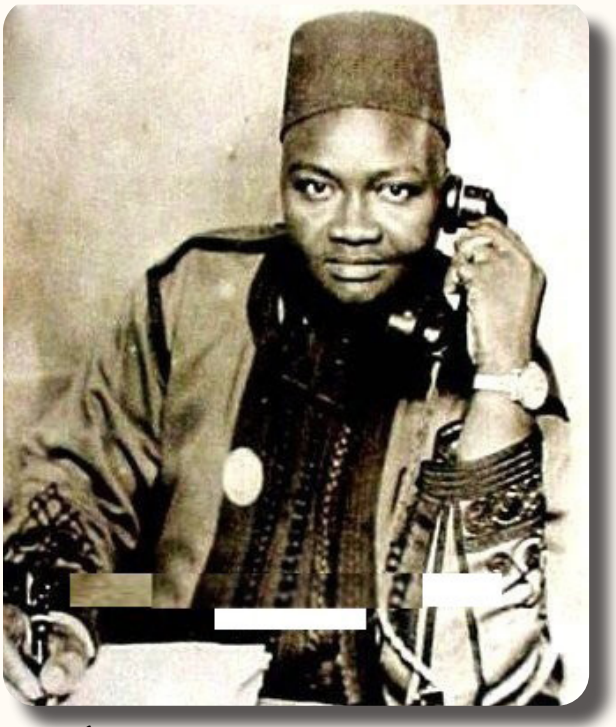

وجوم عميق يسدل ستاره على أحياء المدينة، وغطاء دامس اللون يكتسح جوانبها وأزقتها، وحزن رتيب يسود ساكنيها والقاصدين الحاجين إليها، وتكاد مراكب القوم ودوابهم تترجم بمشيتها وتحركاتها شعورهم وأحاسيسهم الكامنة في دواخل نفوسهم وخلجات أفئدتهم؛ تتعثر أقدام النوق النجائب حينا، وتوشك أن تزل في عراصها وطرقها حينا آخر، وكأنها تستثقل حملا، أو تشكو من علة ألمت بها، ويهيم الزائر العارف بأزقتها ورسوم ديارها، وكأنه ضل طريقه، أو لم يعد يهتدي إلى مبتغاه، يخيل للناظر أن سحبا متراكمة الكثافة والدكنة تجثم على صدر هذه المدينة تخنق أنفاسها، وتحول من تسرب النور والهواء إلى خياشيمها، وعين هذه المدينة يبدو أكثر تأثرا وتألما، إنها كالغادة الخجولة، تأبى لها كبرياءها ومروءتها أن تطلق العنان لصرخة فؤادها ونحيب صوتها، وأن تسترخي العضلات منها للطم خدها وشق جيوبها، ففيها بقية وازع وزاجر تمنعها من البوح والإفصاح بآلامها ومآسيها.

أطياف لشخوص هائمة تحوم حول المعالم البارزة لهذه المدينة، فما من شك أنها تواصل وظيفتها في ايناس وايلاف القلوب التي أحبتها، وألفت رؤيتها واعتادت الالتقاء بها، فعلى جدران وسكك وطرق هذه المدينة تلوح بصماتهم المادية والمعنوية، وترتسم كالنقش المنحوت على القلوب ثباتا وبقاء، ولا غرو، فمعدن هذه الأرواح البرزخية وثيقة الصلة ومتينة الارتباط بتربة هذه المدينة التي نشأت فيها، ورأت النور لأول مرة في بقعها ومحالها، لا تبرح خيالاتها وأشباحها تشرق للقاطنين فيها في العديد من المناسبات والآونة، وتلك سيرتها المألوفة في تجديد أواصر الانتماء والانتساب إلى هذه الأرض التي كانت في يوم ما مسقط رأسها، وعاشت على ظهرها أياما ما، ثم غدت أجسادها دفين ترابها، ولا تزال وشائج الحب والمودة والتعلق تشدّها إلى أهلها وديارها، يندر أن يخلو أحاديث الناس الذين تشرق عليهم شمس هذه المدينة الموحشة من ورود أسمائهم وألقابهم في الحوارات والأحاديث اليومية المتداولة بينهم، وكأنهم بذلك ينوبون عن المدينة الصامتة في الاعتراف والإفشاء بسرها المكتوم والفضح بخبئها المدفون، تضامنا وتعاطفا منهم مع الحالة النفسية البئيسة التي تحياها.

مفجوعة المدن في أعز أبناءها؛ لم تخرج بعد من فترة حدادها، ولم تسل بعد من مصيبتها، لم تنسها الأيام المتوالية أو تخفف عنها ساعاتها المتتابعة، ولو قليلا صدمة مصابها، وجسامة بلواها، كأني في بكاءها هؤلاء الأبناء تبكي وحيدها المفقود، وتحن إلى وليدها الموؤود، وتستطلع الآفاق، مؤملة وراجية في يوم قريب، علّه ستزف إليها بشرى قافلة تحمل إليها قميص يوسف، فترتد بصيرة، ويعود لها سابق عهدها وسالف عصرها، وهيهات لها!! تشبه في صبرها يعقوب، وما أمرّ الصبر على بلاء

وقضاء، إذا نزلا بالمرء لا ردّ لهما ولا حيلة تنفع معهما، حديثها في مجالس القوم ونواديها يقتصر على تعداد مناقب أولادها ومزاياهم، تبث حزنها، فيكاد ينفطر له القلب كمدا وأسى، لم تحسس في بقية الذرية عن بديل «لدباغها» و«منصورها» و«مكتومها» و«أمينها» إنها ترفض أن تستغني بالباقين من هؤلاء الأولاد، وتستبدل بهم أولئك الراحلين! يرثي لحالها من رأى صورتها، ناهيك عمن سمع بحكايتها!

ما الصبر؟ ما التجلد؟، ما نسيان الماضي؟ هي معان فقدت قيمتها في قاموس حياتها، واستبدلت بمعاني «الوفاء، الأمانة، الامتنان، الاعتراف بالجميل»، آلت على نفسها ألا تتوقف عن تذكر أبناءها، وعن البوح بحنينها إليهم، لا عتاب يجدي معها ولا عذل، في عرف هذه المدينة العريقة لا شيء يعادل في الوزن ولا في القيمة ولا في الكمّ فقد ابن عزيز أو وفاة ولد بار، يشتد الألم والوجع بها تارة، ويخف بها تارة أخرى، تبدو حينا وكأنها تقبلت على مضض حياتها، وقررت أن تعيش واقعها، وترضى بقضاء ربها، غير أنها في رمشة عين وارتداد طرفة؛ لا تلبس أو تعاودها موجات ذكرياتها، أمام حوائط المبكى المبثوثة في أرجاء جسمها الهزيل، وكل المواسم وكل التواريخ فرص لها لتجديد التذكير بمأساتها وكربها وبلاءها، ومالي أراها شديدة الوجوم، شاحبة الوجه، مقطبة الحاجب، عابسة الأسارير؟ تدور في سعيها كالحائرة، تطيل الوقوف، وتكثر الالتفات إلى ذلك الضريح القابع في محل بين المسجدين، وكأني بها ترجّي النفس بلقاء الحبيب هناك، أم أنها تريد زيارة ***«المنصور»***؟.

غريب أن تظن روح هذه المدينة بأنّا لا نعرف سر الكآبة ومبعث الحزن والقتامة المخيم على صدرها، هي تراهن على أنّا نسينا ماضيها المشرق البهيج، وعصرها الذهبي، الذي كان فيها قبلة الواردين والقاصدين، والذي كان يجعل منها مدينة مغبونة ومحسودة من بين المدن التي تذخر بها ربوع هذا الوطن الغالي علينا جميعا، هي تتجاهل أنّا اكتشفنا من هم الأبناء الذين لا تزال تبكي فراقهم بدمع مدرار غزير؟ وتندب بلوعة وحرقة شديدين غيابهم، تبعد وجهها عن أعين ناظريها، وكأنها تحاول عبثا أن تخفي معالم هذه المسحة الحزينة على جبينها، وأن تمنع الدموع من إغراق خدودها الجميلة، وعبثا تزعم بأنا أيضا نجهل مدى التقدير والإعجاب اللذين تحتفظ بهما لبعض من أولادها الذين رحلوا عن عالمها، تخفي على استحياء دلائل اعترافها بامتنانها لأولئك الأسلاف الخيار من أولادها البررة، والذين سجلوا في صفحاتها الناصعة أروع السير، وأجمل الحكايات التي تتفاخر بها بين المدن، إن الواجد المشتاق تفضحه تصرفاته وسلوكه، وتكشفه دموعه وحنينه الدائم إلى أمسه الذي يشتاق إليه.

كان لتواوون ابن يلقب ***«بالمنصور»***، ذي الثغر الوضاح، والقلب الوثاب، والروح الخفيفة، والهمة العالية، والحكم الغالية، والنكت الفريدة، في حياته لم يترك فراغا إلا وملأه، ولا ميدان علم إلا واقتحمه، ولا مكرمة إنسانية إلا وسبق إليها، يستقبل في رحاب داره وفود الزائرين بمحياه الطلق والضحوك، ويهشّ ببشر وجهه في وجوههم باشّا ومحتفيا، يقسم على ضيوفه كرم ضيافته، وزاد خيراته، ويؤثرهم على نفسه وأهله، يأسر بطيب قوله قلوب الواردين، في مجلسه تطغى شخصيته على شخصيات جلسائه، فلا يتمنون سكوته، ولا يملون حديثه، ولا يقطعون حديثه، ولا يعملون إلا بتوجيهاته، راق للغرباء حديثه قبل العُرفاء، وارتاح لغناءه أصحاب الشجون قبل أصحاب الوجد والهيمان.

«منصور» تواوون، كان فخر مدينتها، وحامل رايتها ومظهر مزاياها، ومعلي شأنها، وخطيب مجالسها، سحبان ناديها فصاحة وبلاغة، ومالك حلقاتها فقها وحديثا، وسيبويه مسائلها اللغوية دراسة وتحقيقا، وابن هشامها سيرة وتاريخا، وزهيرها مدحا ونظما، كان الوارث لسر سميّه في حكمه ودرره وطرفه، ومفسر ديوان جده تفصيلا وتوضيحا، يتوارد على مجلس علمه رواد العاشقين للسيرة المحمدية، وجمهور المتعطشين لأنواره النبوية، فيشنّف بطيب أقواله أسماعهم، ويمتّع ببليغ

شروحه آذانهم، كان بخفة روحه يأسر ألباب المتحلقين المنصتين له، فيستوعبون أحسن القول من مواعظه، ويستزيدونه علما مما وفق إليه، فكم من مسألة معرفية قتلها بحثا وتنقيبا! وكم طرفة ذهبية رمى بها إلى رواد مجلسه وأتحفهم بها! وكم من مزحة فكاهية ضمّنها عبرا ودروسا حمّلهم إياها فاستفادوا منها!

ذلك الشيخ «***المنصور***» كان كافل طلاب العلم والمعرفة في دارتها وكتاتيبها، وَسِعَهم بقلبه وداياره، وبقدوره وجفانه، قبل أن يَسَعَهم بعلمه ومشيخته، تسعده رؤيتهم واللقاء بهم، وتمتعه محادثته الطويلة معهم، يستظهرهم إبداعاتهم النظمية، ويستحسن من مجيدهم قرائحهم الشعرية، ويشجع على المضي والجدّ مجرّبهم، وكنت ترى أسارير وجهه تتهلل بشرا وسعادة، وهو يغوص معهم في حل المسائل العروضية واللغوية، ويستقرئ الحكم والفرائد من فصول «الخلاص» وأبوابه، تبنّى صغارهم، وتآخى مع كبارهم، وأكرم وفادة خواصّهم، وأفاض الهبات والهدايا لهم، كان يسخى على زواره منهم بأجود ما لديه من مال ومتاع وديار، عرفوا عنه كرمه الحاتمي، فقصدوا مجلسه يطلبون علمه ونصحه ونواله.

ذاك الابن البار؛ كان يعرف في أوساط أهل الفن وأهل الاختصاص بلقب «***بروم داري***»، لم يسع إلى هذا اللقب تفاخرا، ولم يدع ذلك اللقب تنافسا يوما ما، رآه علية القوم وأصفياءهم أهلا له وجديرا به، فوسموه به، وسلموا له راية القيادة طوعا وانقيادا، وبايعوه سمعا وطاعة على إمرة «***داري***»، غاص بحور الشعر، وركب أمواجه، وانقادت له القوافي والنظم، وكان صنو سميّه والمقتفي لخطاه، في روعة السبك، وقوة المعاني، وجزالة التراكيب، كان يبهر نخب الجهابذة إذا جال في ميادين السيرة والتاريخ، ويسكت الثرثارين إذا أفتى في مسائل الدين من غير تكلف ولا تصنع، وقد كان مُحييَ المواسم المولدية، ألفت رواق المسجد ترجيعات صوته الانشادي، وهو يسلّم ويصلّي على الحبيب والرسول، الذي قضى حياته كله يبشر بجمال خلقه ونبل سيرته.

لقد كان «***منصور***» القوم إنسانيا في نزعته، أفريقيا في حساسيته، سنغاليا في ثقافته وعاداته، مسلما في هويته وانتماءه، متواضعا وبسيطا في أعرافه وتقاليده، محافظا ووفيا للتراث الأصيل الذي ورثه كابرا عن كابر، ظل ذلك المرابط على الثغور، المقاوم للتيار، المناوئ للتغييرات التي تحدث شروخا وتصدعات في جدران المحافظة على الهوية التاريخية لهذه المدينة التي أنجبته، آثر الإقامة في قراها وأريافها على النزوح إلى المدن والحواضر، وقد رحل وأبقى من بعده ذكرا حسنا وأثرا مجيدا، ولئن بليت يا «تواوون» بفقد ابن على مقامه ومرتبته، فلسنا بمُسلِيك في مصابك إلا أن نقول:

وما مات محمود الخصال وإنما

تنقل من هذا الفناء إلى الخلد

سيبقى له الذكر الجميل مؤبدا

تمر به الأيام حالية الأيدي

سمب أم جو

تعرّض لنفحات الرحمان! لتنجو من لفحات النيران!

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم الهادي إلى صراط المستقيم وعلى آله وصحبه أجمعين.

من لطف الله تعالى ورحمته على عباده المؤمنين أن هيّأ لهم فرصا ومناسبات وأزمنة يكون فيها الوصول إليه أسرع، والدخول إلى بابه أسهل،{إن لربكم عزوجل في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدا} بل نوّع لهم العبادات ليُقبل إليه الخلقُ كلٌ حسب طاقته واستعداده. فعبد يدخل إليه من باب الصيام، وآخر يصل إليه من باب الصدقة، وثالث يفتح له من باب الذكر، وهكذا..... فلو أن الله سبحانه وتعالى حصر الخير كلهِ في إنفاق المال لما وجد من قُدر عليه رزقه نصيبا من فعل الخيرات، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:{ إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق}

وذكرالله تعالى من أسرع الأبواب إيصالا للعبد إلى ربه.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم{ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال: ذكر الله تعالى}

فقد فطن أهل التصوف هذا الحديث النبوي فطبقوه في حياتهم وجعلوه منهج سلوك ودعوا إليه على مقتضى قوله تعالى{ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} فالتصوف إذا ليس إلا تطبيقا عمليا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في التعرض لنفحات الرحمن، بل هو محض ربط قلوب العباد بربهم بدوام الذكر والمراقبة {لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله.

فليس إنشاء الطرق الصوفية، واتخاذ الأوراد إلا من باب التعرض لهذه النفحات الرحمانية عن بذكر الله تعالى.

فالصوفي الحق همه كله هو كيف يصادف هذه النفحات الرحمانية والعطايا الربانية، فلا يضيع لحظة من لحظات حياته- يغلب على ظنه أنها لحظة تنزّل للنفحات الإلهية -إلا استغلها ،فليلة الجمعة- مثلا- ويومها من أغلى فرص يترقبها المتصوف- بشغف، فيحيي ليتها بالصلاة على نبي الرحمة، ويظل نهارها مسلما على عين الرحمة الربانية، كما لا يفوّت عصرها من مجالس الذكر وحلقاته، لما ورد من فضل هذا اليوم المبارك في كلام الصادق المصدوق{ أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا}

فكل ما يقوم به المتصوف من أذكار بكرة وعشيا ليس إلا من هذا القبيل، وهو التعرض لنفحات الرحمن للنجاة من لفحة النيران.

ليت شعري، لو فهم الناس التصوف بهذا الفهم لما ناصبوا له العداء، فالعجب العجب ممن يربط التصوف بالرهبنة البوذية أو الكهانة النصرانية اوالشعوذة الهندوسية .

الباحث: عبد العزيز كولي

الشيخ محمد المنصور سي بين الأسطورة والحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سجل التاريخ السنغالي ملئي بأعمال بعض علماءه الأجلاء وأبطاله الأقوياء، بيد أن هناك شخصيات ـ على غرارهم ـ لم تسجل جهودهم إلا في سجل الآذان، وبقلم لسان لم يكتب لصاحبه البقاء بقاء السجلات التاريخية المكتوبة، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية إلى تلبيس المفاهيم، وقلب الحقائق؛ بل قد تعتبر جهودهم ومناقبهم ـ في القرون القادمة ـ مجرد أقاصيص درامية بحتة لم تعانق الواقع في شيء، وأسطورة مزخرفة لتمليح أحداث التاريخ، ولن يكون السبب في ذلك إلا عدم اهتمام معاصري اولئك الشخصيات بتدوين أعمالهم وتسجيل جهودهم في سجل التاريخ المكتوب قبل أن تنخرم ذاكراتهم، بل اتكلوا اتكالا كليا على الحكايات الشفهية التي قد تزاد فيها وتنقص.

ومن بين تلك الشخصيات التي يبتهج بها التاريخ السنغالي، بل والتاريخ الإسلامي عامة، الشيخ محمد المنصور سي «بروم دارج» الذي قضى نحبه في رسم إنجازاته على صفحات تاريخ الأمة الإسلامية على اختلاف زواياها ومتجهاتها، الأمر الذي دغدغ بهمة الباحث ليتعرض بتدوين غيض من فيض مواهبه الحقيقية، التي قد يعتقدها من لا يعرف شخصيتها سيناريوهات خيالية.

نعم، خليق بذي عقل متبصر أن يخطر بباله أمثال هذا التساؤل — حين نتحدث عن مناقب الشيخ محمد المنصور ـ أهي خيالية أم حقيقة؟؛ وذلك لما اشتملت عليه من أبعاد مترامية ومختلفة، والتي تكفي لغيره فخرا ومكانة أن يتحلى بواحد منها.

وهذه المقالة تأتي ـ باختصار شديد ـ لتسليط الضوء على شخصية الشيخ محمد المنصور سي وبعض مناقبه.

الشيخ محمد المنصور سي « بروم داري» في سطور

ولد الشيخ محمد المنصور سي «بروم داري» يوم السبت 15/أغطس/ 1925م الموافق 05/ صفر/ 1344هـ، من أبوين كريمين وهما؛ السيدة سخن عائشة سيك، والسيد أبوبكر

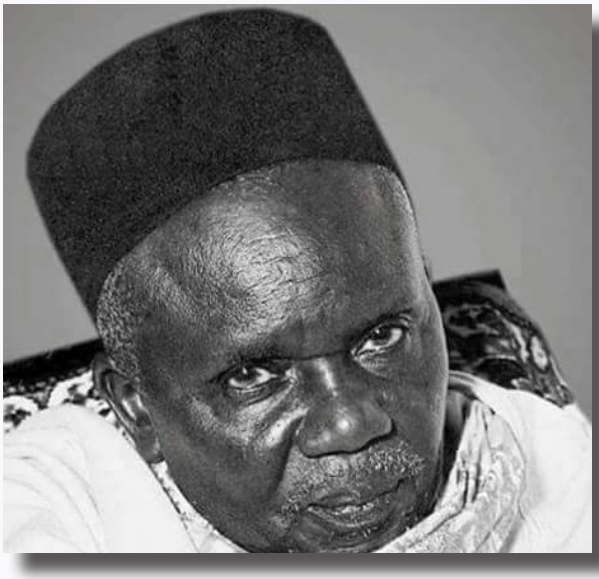

سي، المشهور بعلمه وولايته، وهو ابن الشيخ الحاج مالك سي حامي حمى الدين وناشر الطريقة التجانية في داخل السنغال وخارجها.

بدأ الدراسة هو وصنوه الشيخ أحمد التجاني سي، وهما في السادس من عمرهما، حيث أخذتهما والدته إلى الشيخ إبراهيم جينغ لتتفتح أعينهم على القراءة وحفظ القرآن الكريم، فمكثا عند هذا الشيخ مدة، ثم حملهما والدهما إلى الشيخ ماما لوح الذي أنبت في صدورهما نبات القرآن حسنا، فحفظاه حفظا متينا.

وبعد حفظه القرآن الكريم، بدأ الشيخ محمد المنصور يتردد بين المشايخ للتشرب من علومهم فنا فنا إلى أن تربّع على كرسي

العلم واعتلى الذروة في الفهم والدقة، وامتطى القمة في التحليل والتفصيل.

ومن هنا نصب له والده كرسيا ذهبيا ليتربع عليه مدرسا كل الفنون المقررة في الزاوية المالكية، ومربيا على منوال جده الشيخ الحاج مالك سي، فاستنسخ الشيخ «بروم داي» في ذلك —وفق تعليمات والده— منهج جده التربوي خطوة بخطوة، وابتلي فيه بلاء حسنا ومني للتوفيق بين التعليم والتربية والترقية والعمل في الحقول، فتخلص منهج حياته في أحرف رمزية ثلاثة:

تِيرِي – تِوَاوُنْ – تُولْي

تيري: الكتب؛ ويشمل أمور الدين بصورته العامة، تعليما وتربية، تأليفا وتطبيقا، حماية وصيانة.

تـوَاوُونْ: مدينة جده الحاج مالك سي؛ ويشير بها إلى اهتمامه بخدمتها والحفاظ على تراثها وأسسها الإسلامية التي أسسها بها جده الشيخ الحاج مالك سي؛ ومنها التعلم والتعليم والعمل الصالح والأدب مع الله واحترام جميع الخلائق، والسعي فيما ينفعهم ...

يقول جده:

ألا يا بني هذا الزمان دعوتكم

لإحياء دين بالعلوم أجيبوا

تُولْي: الحقول؛ وهي مصدر رزقه الأول، فقد كان يأكل من عرق جبينه، ويصرف ما يقدم إليه من هدايا على عباد الله المحتاجين، وهذا حقيقة التعفف.

«بروم داري» رجل أهاب بالعلم والتقوى فاستجابا وفي موكبهما الدنيا وما فيها

هذا العنوان يجرنا إلى الحديث عن بعض مناقب الشيخ محمد المنصور سي، التي جعلته يتمتع بأبعاد مترامية، وصيرته أعجوبة بهرت العقول، وشركت الفهوم، وتهافت في تصورها المفكرون، فهو العالم الذي لا يتبختر في ساحته الأغنياء، أيا كان، ولا يتعجرف في ذراه العلماء؛ إذ هو في الفنون أبو بَجْدَتِهَا وأخو جملتها وأبو عذرتها ومالك أزمتها، وأما في الثراء فهو واسط عقد بين الأغنياء والأثرياء، بل الأثرياء عيال له والأتقياء براعم له. فقل بعد ذلك ما يجول في خاطرك ـ أيها القارئ ـ من تصورات خاطفة، وتأملات جائحة، وإلا فدعني أجرد لك شيئا من مناقب هذا الرجل، لأريحك قبيل أن تهيم في فيافي تصور أبعاد شخصيته. ومنها:

علمه وحفظه:

فمن نوافل القول الحديث عن ضلاعة الشيخ محمد المنصور سي» بروم داري» العلمية، إذ هو ذات العلم ، والعلم ذاته، فهما وجهان لعملة واحدة، فلا يتصور « بروم دارج»

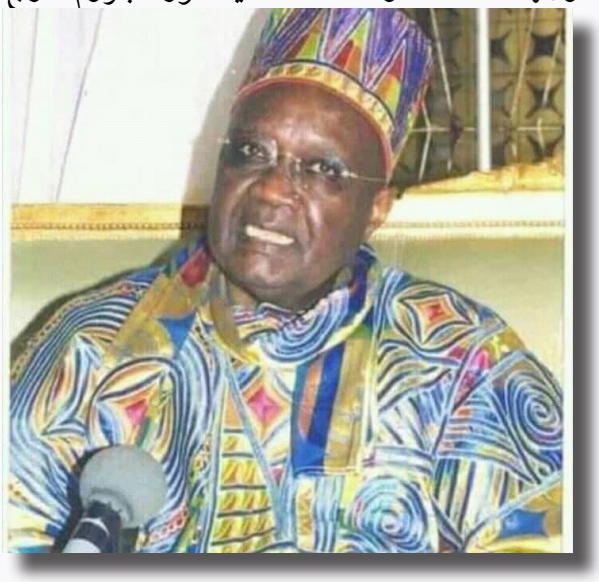

دون تصور العلم، والعكس كذلك صحيح.

فإذا وجد شيء جدير بالقول فهو استيعابه الواسع لكثير من الفنون العلمية، حيث لم يكن له ساحل ينصب فيه بحر ضلاعته لنقول هنا انتهى علمه، بل كان بحرا لا ساحل له في العلوم الظاهرة والباطنة، يغوص في كل قعر علمي — شريعة كان أو حقيقة ـ مستخرجا من مصافه اللآلي والدرر الحكمية؛ لذلك كانت مجالسه كلها علمية، فلا يُلحظ منه استطراد إلى فكاهة مجردة عن الحكمة، أو إلى شأن من شؤون الدنيا، ناهيك عن زخارفها.

فأما حفظه فحدث ولا حرج، فقد سمعت

من أحد أتباعه[1] يقول عن قوة ملكته الحفظية: أن التلاميذ كانوا يحملون شروحا مختلفة، خاصة في حلقة التفسير، وكان الشيخ «بروم دارج» يستقرئ من جميع الشروح للتوفيق بين آراء العلماء في المسألة، لكن العجب العجاب في الأمر أن القارئ حين يقفز كلمة يستدركها الشيخ، وأحيانا يستبقه إلى قراءة ما بعد الجملة التي يقرأها عن ظهر الغيب، وهذا —بحق— ينمّ عن حفظه القوي لكثير من الشروح بله عن المتون، كما يؤيد مقولة والده عن بيئة تواوون؛ حيث يصف إنجازات الشيخ الحاج مالك سي فيها قائلا:

وَنَصَبْتَ فِي عَرَصَاتِهَا خِيَمَ الضِّيَا

إِنَّ الْغَوَامِضَ مَلْعَبُ الصِّبْيَانِ[2]

جرأته العلمية

الجرأة من سمات العالم الواثق بعلمه لكن درجاتها تختلف من عالم لآخر، وحين نقيس الشيخ محمد المنصور بهذه السمة نجدها منطبقة في شخصيته، ذلك أنه كان يتبنى في مجالسه أسلوب المناقشة والمناظرة العلمية، حيث يتحدى العلماء بمسائل جد عويصة لسبر مدى تمكنهم وفهمهم، وقدرتهم على التحليل، ويضع —أحيانا— لمناظره في المسألة خرْجًا في حال استطاعته لحل المسألة.

ومما يؤيد ذلك — من زاوية أخرى— مؤلفاته التي يعتنق بعضها مجال المناقشة العلمية، ومنها كتابه الموسوم بـ« **تنبيه المنهمك الجاحد لجواز تعدد الجمعة في المصر الواحد**»، هذا الكتاب الفقهي الذي أول ما يصفع انتباه الناظر فيه هو عنوانه الذي يعكس أمارات الجرأة العلمية.

موهبته الأدبية

كانت للشيخ محمد المنصور براعة أدبية سيالة، وقريحة وهاجة ممتزجة بنفحات صوفية رقراقة، لذلك كان يكتب من الشعر أحلى ما سجعت به بلابل الأقلام، وترنمت به عصافير الأفهام، مُسفِرا فيه عن جمال يزهو في بُرُد السنا والسناء، بقواف ذات توقيع صاعد، وترنيم جاذب.

ويمكن أن نقتضب لذلك مثلا ـ خوفا من الإطالة ـ، من قصيدة له يصف فيها والده، وهو في القطار إلى دكار، ثم نضعك أيها القارئ تلاحظ قدرة الشيخ في حبك الشعر وذوقه الرهيف للموسيقى الشعرية، والصورة الأدبية الراقية التي أنهل بها القصيدة، يقول :

وَقَى اللهُ بَابُورًا بِهَا زَاحَمَ الرَّكْبُ

وَقَائِدُهُمْ قُطْبٌ أَتَانَا بِهِ الْقُطْبُ

تَرَاهُ لَدَى كُلِّ الْمَرَاسِي كَأَنَّهُ

عَلَى أَنْجُمٍ بَدْرٌ مُنِيرٌ لَهُ الرُّتْبُ

وَمَنْ مِثْلُ «كِيسْ» فِي ذَا التَّعَرُّضِ وَالْهَنَا

كَذَلِكَ «بُوتْ» نِعْمَ الْخُتَانُ بِهَا سِرْبُ

وَ «بَرْجِ» وَ«تَنْغِيجٌ» «وَاتَيَارُيْ» يَرَاخُهَا

فَكُلٌّ بِهَا قَوْمٌ مَرَامُهُمُ الْقُرْبُ[3]

١) الشيخ الحاج مود مالك صو، وأكده لي الباحث الشيخ طاهر فال

٢) ديوان الشيخ أبي بكر سي، الاعتناء والنشر: سراج الحضرة المالكية بتواوون. ص ٧٩

٣) الشيخ محمد المنصور سي، مجموعة من قصائده «شذا العطور من نفحات الشيخ محمد المنصور» من منشورات جمعية طلبة الشيخ محمد المنصور سي بروم داري، بتواوون.

هيئته وهيبته

تضيع لي الكلمات المناسبة لوصف مدى روعة هيبة هذا العلم، ولم يخطر ببالي وصف أبهى من وصفه بملك في قصره بهندامه الفاخر، وبجماله الباهر، فهيئته في الخارج هي هيئته في الداخل، ذلك أنه كان يؤمن قول النبي ـ ﷺ ـ« من أنعم الله نعمة، **فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه**»[٤]، فعلا أظهر» بروم دارج» أثر نعم الله عليه، والتي مهدها له العلم والتقوى والمجاهدة في سبيل الله بالتعليم والتربية من أجل رفع غطاء الجهل عن عيون أمة حبيبه المصطفى ـ ﷺ ـ، ولم يأل فيه جهدا مدى حياته، لذلك التفت حوله الدنيا وما فيها.

فهو بالخلاصة توفرت فيه ـ عملا وجزاء ـ معاني قوله ـ ﷺ ـ «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »[٥]

عباداته وإجابته

منطقي للغاية أن ينظر إلى الشيخ محمد المنصور سي من زاوية اعتناءه بعبادة ربه، إذ النعمة تستوجب الشكر المادي والمعنوي، ولقد كشفنا في النقطة السالفة جانبا من اعترافه بجميل نعم الله ماديا ومعنويا، لكن التخلي بالله بعْدٌ في الشكر لا يحاذيه غيره، وللشيخ محمد المنصور سي فيه اهتمام كبير، حكى لي الشيخ الحاج مالك جوب[٦] أن لا أحد يعرف من الشيخ وقت نومه، فقد كان ليله كنهاره، إما مدرسا أو باحثا أو مطالعا أو ممسكا بسبحته، ما يعني أنه كان ملكي الروح، وإنساني الجسم. فمن يدري ـ إذا ـ متى يشاغفه النوم أو يستهويه الملل![٧]

وأما إجابته فهي مضرب مثل في السنغال،

فقد اشتُهر بتلقيبه ـ مجازا ـ بـ «صاحب المَقْبس[٨]» الذي يستمد منه الكهرباء، ويقصدون به قوة دعاءه وسرعة إجابته ـ منا من الله ـ والأمثال في ذلك كثيرة شهدها الحاضر والغائب.

الخاتمة:

هذا، وإن الباحث ـ لضيق خناق البحث ـ حاول أن يضع بين يدي القارئ صورة شبه واضحة من شخصية الشيخ محمد المنصور سي، مع العلم بأن تعريفه وذكر مناقبه لا تحده مجلدات ناهيك عن صفحات محدودة، لكن للحديث بقية وسوف نكمل حلقاتها في الإصدارات القادمة.

الباحث: شيخ أحمد التجاني ساخو

ط١. ص٩

٤) مسند الإمام أحمد(ت:٢٤١)، تح: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، ط١. سنة ٢٠٠١م. ص ٣٣

٥) صحيح مسلم (ت: ٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، عدد الأجزاء: ٥/ ج4، رقم الحديث 2699. ص2074

٦) أحد تلاميذ الشيخ

٧) لا يفهم من هذا الكلام أنه ما كان ينام ـ جل من لا تأخذه سنة ولا نوم ـ بل نقرر هنا أنه راض نفسه على صبر لذات الدنيا

٨) بالفرنسية Prise électrique

رحيل العلاّمة الحاج مالك تورِي المرحوم ثلمة في دين الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد طلبت منا هيئة التحرير لمجلّة (بروم داري) التواوونية ـ وبصفتي عضوا مشاركا فيها ـ تقديم مقالة معينة، وكان الطلب متأخرا،ولعدم وجودي فسحة كافية من الزمن لإعداد مقالة، تعالج جانبا مباشرا من جوانب الشيخ محمد المنصور (بروم داري)، رضي الله عنه، مع التنبيه بأني في الإصدار السابق من هذاالمجلة الموسمية تناولت نبذة من شعرالشيخ محمد المنصورذا اللون الثنائي اللغة،ولم يتم بعد استفراغ الموضوع، ومراعاة لملاحقة الوقت الذي لا ينتظر، وكراهية مني عدم القيام بإنجازالمقالة ارتأيت تقديم هذه المقالة،التي كتبتها سلفا، وتتعلّق بسيرة فقيد الأمة والملّة الشيخ العلاّمة الحاج مالك تورِي الملقّب والمشهور ب: (الحاجّ مَوْدُ تُورِي) رضي الله عنه .فقبلنا الطلب استجابة للنداء (استجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحييكم)، وتبرّكا وتيمّنا بمراجعة حياة صاحب السيرة وعلما بأن سيرة حياة سادتنا المشيخة يمثّل إشراقات ونبراسا ينير الطريق للأجيال المتعاقبة وخاصّة منهم الشباب السالك.

ولادته ونشأته: الحاج مالك توري المشهور ب (سَرِجْ مَوْدُ تُورِي) هو الشيخ العارف بالله الصوفي السني التقي الصالح العامل بعلمه العلاّمة الزاهد الورع الفقيه الوجيه الأديب اللبيب الشاعر الكاتب الباحث الحصيف،نجل الشيخ النحريرالمقرئ المجوّد الفقيه الحاج محمد الهادي توري ابن الشيخ العلاّمة شئث توري .ولد عام 1932م بمدينة فاس توري المتاخمة لمنطقة طوبى امبكي. فوالدته هي السيدة الفاضلة الناسكة الصالحة الورعة عائشة سي بنت العارف بالله مربّي الأجيال وجبل السنة مولانا الشيخ الحاج مالك سي رضي الله تعالى عنهم. ولما بلغ سنّ التعليم وبرعاية الله عزّوجلّ تولّى والده الحاج محمد الهادي توري تعليمه وتربيته بنفسه في مدرسته التي تعدّ من أقدم المدارس القرآنية في السنغال، ولماحفظ المصحف الشريف وأتقنه كتابة وتجويدا انتقل إلى دراسة العلوم النقلية والعقلية على يد الوالد المعلم المربي فلزمه وتلمذ له ونهل من علمه ماشاء الله أن ينتهل، فكان الحاج مالك توري من أنجب تلاميذه وأوعاهم وأفضلهم وأذكاهم فجمع أشتات العلوم الشرعية والفنون اللغوية في فترة وجيزة من الزمن، ثمّ بعثه الوالد وبإيحاء من خاله الشيخ العلاّمة الحاج عبد العزيز سه الدبّاغ رضي الله عنهما إلى القاهرة فالتحق بجامعة الأزهر الشريف للتوسّع في التحصيل العلمي، فحصل على شهادة الإجازة العلمية وعاد إلى الوطن مستقرّا بجانب الوالد في مدينة فاس توري ليعينه في القيام بمهمة التربية والتعليم لأبناء المسلمين. وفي هذه الحوزة العلمية العريقة بتحفيظ القرآالكريم والتعليم تولّى الحاج مالك توري تعليم مجموعة كبيرة من الطلبة يدرّسهم في شكل حلقات جماعية، ويتكفل له الوالد الراتب الشهري، وهكذا دام في فاس توري يشتغل في التعليم والتربية حتى تخرجت على يديه طائفة مهمة من العلماء الأجلاء، ومن هؤلاء النخبة الشاعرالسنغالي الأديب العبقري المكثر في قول الشعر المرحوم المفتّش شيخ أحمد

التجاني غي. وبعد تلك الحقبة، اشتغل باحثا في قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الأساسي لإفريقيا السوداء، بجامعة شيخ أنت جوب بدكار- السنغال، وإثر ذلك عيّن الحاج مالك توري موظفا دبلوماسيّا يتولّى منصب المستشار الثقافي بسفارة السنغال المعتمدة في القاهرة، ومن ثم انتقل إلى سفارة السنغال في جمهوريّة إيران الإسلامية مستشارا ثقافيا فيهاكذلك.

شخصيته ومميزاته: كان الشيخ الحاج مالك توري رضي الخلق، متواضعا يلبس من الثياب المتوسطة قليل النوم والأكل والشرب قصد جذب إنتباه الناس إلى الإهتمام بالأهمّ من ذلك ولا يشغله شيء عن العلم من مطالب الدنيا أو شؤون الحياة، وكان منقطعا في منزله لا يتردّد إلى المناسبات الاجتماعية – كما هو العادة في البلاد – إلا في حدود، وحالات ضرورة. وغالبا ما كان يرتاد سوق الكتب إما لشراء الكتب والمراجع بكميات كبيرة جدّا ثم يوزّعها هدايا إلى أوساط المشيخة الصوفية والعلماء وطلبة العلم بغضّ النظر عن انتماءاتهم الطرقية أو لمراقبة الكتب والمطبوعات ذات العداء والهجوم على تراث السادة الصوفية، لقد اهتمّ الشيخ الحاج مالك توري بالدعوة إلى الله تعالى عن طريق نشر الكتب النادرة من التفاسير في مجال التفسير والحديث والمصاحف وعلوم القرآن والأصول واللغة والأدب ولكن إهتمامه بالتصوف السنّي أخذ نصيب الأسد في ذلك، فالتصوف هو لبّ الشريعة وجوهرها وروحها القائمة على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة. وكان يقول كثيرا: (بأن الغرض في التعلم صلاح الروح وتهذيب النفس، ومصادر ذلك كله من العلم الأصيل). وكم من عالم قد أسّس له الشيخ الحاج مالك مكتبة كاملة مزوّدة بنوادر الكتب النفيسة.

أمّا في جانب العرفان فقد كان آية من آيات الله لايوجد له فيه نظيرفي عصره فيما نعلم حتّى كان يقول له في هذا الباب العلاّمة الشيخ محمد المنصور (بُرُومْ دَارَجِي) رضي الله عنه على وجه المزاح، لكن المزاح في مكان الجدّ: (الحاج مالك توري ليس من جنس البشر، ولكنه من جنس الروحانيين، لتمكنّه ورسوخ قدمه في علم الأسرار،وفنون العلوم العرفانية).

ولايمكن حصر مجموعة صفاته النبيلة ومواقفه في سطور، ولكن نكتفي بالإشارة إلى أنه قد غلبت على حياة الشيخ الحاج مالك توري نزعة صوفية وحياة روحية غارقة في العبادة والطاعة لله تعالى والحبّ الخالص لسيّد الوجود وعلم الشهود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لايكاد بيته لحظة من الزمن خاليا من تلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ذا علم غزير، ولا يبارى فيه في مختلف الميادين، لقد تلقّى التربية الصوفية من والده وترعرع في محيط عامر ومفعم بالتربية السلوكية والسير إلى الله تعالى.

وفاته: وبعد حياة حافلة بالجهود المتواصلة ليلا ونهارا في نشر العلم وعمل البرّ لسعادة الإنسان في الدنيا وفوزه غدا بالرضوان من الله، بذل الشيخ الحاج مالك توري كل طاقاته وأوقاته في نشر الإسلام،وبسط ظلال التصوف إلى جميع الأطراف إلى أرجاء ربوع السنغال المعمورة، وبعد أن أدّى مهمّته البرّبانيّة ونجح فيها أيّما نجاح التحقت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى عن عمر يناهز85 عاما، ضحى يوم الجمعة في داره بمدينة تواوون، الموافق 3/مارس /2017م. ونقل جثمانه الطاهر إلى مسقط رأسه، مدينة/ فاس توري متوارًى بالقرب من قبر والده الشيخ الحاج محمد الهادي توري، فجزاه الله عنا كل الخير ونفعنا ببركته إلى يوم الدين وحفظ تعالى على ذريّته وأهله معافين وأن يديم بقاءهم لمواصلة مسيرة دربه الشريف.وأن يبلغهم مقامات السادة العارفين بالله.

بقلم الباحث: عبد العزيز سار/ تواوون
كاتبا للشيخ محمد المنصور سه «بروم داري»

هَـوَاتِفُ الشَّوْقِ نَادَتْنِي بِلَا مَلَلٍ

بـــــــسم الله الرحـــــــمن الرحـــــــيم

والصلاة والسلام على من قال: «العلماء ورثة الأنبياء» سيّدنا محمد سيّد بني قصي وءاله وصحبه الأنجم الزاهرة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

وبعد:

فهذه قصيدة منظومة من بحر البسيط ولا يحرمنا الله من شرب بحره المحيط جادت بها قريحة أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربّه مود مالك صو مادحا فيها شيخه ووسيلته وملاذه وقدوته ومغناطيس قلبه الشيخ محمّد المنصور سه(بروم داري)، وذلك بعد أداءه فريضة الحج، عام 2007ـ2006 مهنئه فيها بأداءه الفريضة وبزيارته خير الأنام صلى الله عليه وسلم. فقلت:

قُـلْ لِلْعَـذُولُ فَإِنِّـي لَسْتُ مُحْتَفِلًا ... بِالْعَـذْلِ شَـيْخي سَلِيلُ الْحَاجِ يَكْفِينِي

هَـوَاتِفُ الشَّـوْقِ نَادَتْنِي بِلَا مَلَلٍ ... نَحْـوَ الْمَـلَاذِ أَبِـي الْأَيْتَـامِ فِـي الدِّيـنِ

وَالسَّـمْعُ فِـي صَمَـمٍ وَالْفَـمُ فِـي بَكَـمٍ ... عَـنْ عَذْلِكُـمْ كُـنْ إِذَا تَلَحَّى إِلَى الْحِينِ

أَطْنَبْتَ يَا لَائِمِي فِي اللَّوْمِ مُجْتَهِدًا ... فُحُبُّ شَيْخِـي أَبِـي الْحَبِيبِ يُغْنِينِي

هُـوَ الْخَلِيفَـةُ لِلْمُخْتَـارِ مِـنْ مُضَـرٍ ... وَأَحْمَـدٍ مَالِـكٍ مِـنْ دُونِ تَمْيِيـنِ

شَـيْخٌ هَـدَى النَّـاسَ لِلْإِحْسَـانِ قَاطِبَةً ... صَـانَ الطَّرِيقَـةَ فِـي حِفْـظٍ وَتَحْسِـينِ

شَـيْخٌ رَزِيـنٌ حَلِيـمٌ كَامِـلٌ فَطِـنٌ ... حَمَّـالُ كَلِّ الْـوَرَى مِـنْ غَيْـرِ تَشْـيِينِ

شَـيْخٌ لَطِيـفٌ صَمِيـمٌ عَـالِمٌ وَرِعٌ ... هَـادٍ عَفِيـفٌ بِـلَا شَـكٍّ وَتَخْمِيـنِ

بِالْكُـرْهِ نَـاهٍ وَبِالْمَعْـرُوفِ آمِـرَهُ ... بِالصَبْـرِ وَالْحِلْـمِ وَالْإِحْسَـانِ وَاللِّـينِ

إِنْ قَـامَ يَخْطُـبُ يُنْسَى مِـنْ فَصَاحَتِهِ ... عَـــنْ ذِكْـرِ سَـحْبَانَ أَوْقُـسٍّ بِتَعْيِيـنِ

تَـرَاهُ مُنْبَسِـطًا بِوَجْهِـهِ أَبَـدًا ... وَمُنْفِـقَ الْـمَالِ فِـي بِشْـرٍ وَتَزْيِـينِ

عِـيَانُ وَجْـهٍ لَـهُ يُغْنِيـكَ عَـنْ أَكَلٍ ... أَخِـي فَلَحْظَتُـهُ إِلَـيَّ تَشْـفِينِ

بُشْـرَى لِمَـنْ كَانَ سَـالِكًا بِمَنْهَجِـهِ ... مُـرَاعِيًا بِشُـرُوطِهِ إِلَـى الْحِيـنِ

أَبَـا التِّجَّـانِ سَـلِيلَ الْحَـاجِّ مَلْجَأَنَـا ... شَـيْخَ الْمَشَـا يِـخِ مَنْهَـلَ الْمَسَـاكِينِ

قَـدْ جِئْـتُ مُعْتَفِيًا مِـنْ عِنْدِ سَـاحَتِكُمْ ... بِالضُّعْـفِ وَالْفَقْـرِ وَالْإِذْلَالِ وَالْهُـونِ

أَنْتُـمْ مُـرَادِي فَمَـا لِـي غَيْرُكُـمْ وَزَرًا ... لِـذَا أَتَيْتُكُـمُ بِالـذُلِّ وَالدِّيـنِ

يَاسَـيِّدِي مُرْشِـدِي وَسِيلَتِـي وَزَرِي ... فَالْقَلْـبُ حَقًّـا بِـكُمْ كُلَّ الْأَحَايِيـنِ

أَدَّيْتُـمُ فَـرْضَ حَـجٍّ مُفْـرِدًا كَـرَمًا ... مِـنْ بَعْـدِهِ عُمْـرَةً أَحْرَمْـتَ فِـي الْحِيـنِ

سَـعَيْتَ بَيْـنَ الصَّفَـا وَمَـرْوَةٍ شَـرَفًا ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا طُفْـتَ بَيْـتَ اللَّـهِ وَالنُّـونِ

طِبْتُـمْ نُفُوسًـا بِـزَوْرٍ غَيْـرِ مُنْكَتِـمٍ ... قَـدْ نِـلْتَهُ فِـي ضَرِيـحِ الْحِـبِّ يَاسِـينِ

لَـكَ الْمُنَـى سَـيِّدِي إِذْ زُرْتَ رَوْضَتَـهُ ... أَمَّكُـمُ النَّـاسُ تَهْـدِي الْـكُلَّ لِلدِّيـنِ

وَالْبَعْـضُ جَـاءُوا لِأَخْذِ الْوِرْدِ يَاعَجَـبًا ... لَـدَى ضَرِيـحِ كَرِيـمِ الْأَصْـلِ وَالطِّيـنِ

وَقَادَكَ الشَّـوْقُ حَقًّا نَحْـوَ مَنْ بَهَرَتْ ... ءَايَاتُـهُ هُـوَ بُرْهَـانُ الْبَرَاهِيـنِ

شَـيْخُ التِجَّانِ غِيَاثُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... بَحْـرُ النَّـدَى وَمُمِـدُّ الْـكُلِّ لِلْحِيـنِ

وَكَانَ فِـي الْجَمْـعِ مَنْصُـورَانِ[1] يَالَهُـمُ ... كَـذَا حَبِيـبٌ أَخِـي الْإِحْسَـانِ وَاللِّيـنِ

وَكُنْـتَ شَمْسًـا لَـدَى الْأَقْمَـارِ طَالِعَـةً ... فَالْـكُلُّ قَـدْ زَاحَمُـوا مِـنْ غَيْـرِ تَمْيِيـنِ

يَـا مَرْحَبًـا بِحُضُـورِ الْقُطْـبِ ذِي كَـرَمٍ ... بَحْـرِ النَّـدَى مَنْبَـعِ الْأَسْـرَارِ وَالدِّيـنِ

أَزْكَـى صَـلَاةٍ عَلَـى الرَّسُـولِ سَـيِّدِنَا ... وَالْآلِ وَالصَّحْـبِ سُـبَّاقِ الْمَيَادِيـنِ

الحاج مود مالك صو

المشرف العام على كُتَّاب الشيخ محمد المنصور سي «بروم داري»

---

1) الشيخ منصور سه الدبّاغ والشيخ منصور سه جميل ومحمد الحبيب منصور.

المجمع الإسلاميي التعليمي التابع للمؤسسات التعليمية للشيخ محمد المنصور سي

لقطات من الحفلات الماضية وصور لطلبة مدرسة الشيخ في تواوون